القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

يعلم قرآء الضيآء الوضآء اني نشرت منذ بضعة اسابيع مقالةً في القوى العاقلة في الحيوان بينت فيها ان المبدأ العقلي في الانسان والعجماوات واحد فتعرض لانتقادها حضرة الاب لويس شيخو احد المنتمين الى الرهبانية اليسوعية الآخذين على انفسهم القيام بنصرة الادب وتهذيب طلبة العلم في مدارسهم وتقويم اود النفوس بارشادهم ومواعظهم . ولعلمي بما عند غالب هذه الطغمة الفاضلة من التأدب ولا سيما في فن المناظرة لم ابتئس من الدخول مع حضرة الاب في هذه المناقشة يقيناً مني بانهُ لا يتعدى حدودها الى ما أُلف عند الكثيرين منا من تلطيخ وجه الادب بالفاظ المهاترة والخروج الى ما لا يليق بمن اخذ على نفسهِ صيانة الآداب العمومية ولذا سررت بانتدابهِ للخوض معي في هذا المجال لاعتقادي بان مناقشتنا ستكون طبقاً لما ذكرتهُ هنالك بقولي « وحبذا كل انتقادٍ مصدرهُ الاخلاص في تمحيص الحقائق ومؤداهُ الضالة المنشودة لا الثلب والتشفي بالطعن والتقريع كما هي عادة السواد الاعظم من كتابنا المنتقدين » . وقد افتتحت جوابي لحضرتهِ بالثنآء على الرهبانية المشار اليها بما تستحقهُ من المدح والاعتراف لها بالفضل وظننت بعد ذلك اني قد تمنعت في حصن الكرامة واصبحت بمأمنٍ مما لعلهُ يسوق اليهِ طبع المناظر او يدفع اليهِ عجز الحجة من البذآءة والتطاول وكنت متشوقاً الى اطالة المناظرة في هذا البحث جلآءً للحقيقة حتى صدر العدد الاخير من مجلة المشرق فاذا بحضرة الاب كما يقول بديع الزمان قد سقاني

الدُرديّ من اول دنّهِ وقابلني من اللفظ الخارج عن خطة الادب بما لم يكن صدورهُ من قلم هذا الفـاضل اشد استغراباً عندي من صدورهِ من تلك المطبعة ودروجهِ الى عالم القرآء من بين كتب الدين واسفار الادب بل من بين اظهُر قومٍ قد اشتهروا بالصلاح والورع والنزاهة والـكمال . وانا لا اشك ان رؤسآءهُ لو اطلعوا على ما خطهُ بتلك اليمين الطـاهرة ولم يحجب بينهم وبين كلامهِ عجمة اللغة لقيدوا قلمهُ عن الجري بما يشوّه كرامتهم ويطلق الالسنة فيهم بما يسوءنا سماعهُ ولا يليق بما اشتهروا بهِ من النزاهة والفضل

وبما ان قلمي لم يعتد تدوين ما يلائم طباع هذا المهذب ولست ممن يرضى لنفسهِ الخوض في هذه الحمأة وان رضيها لنفسهِ ودعاني اليها فاني ارتفع عن مناظرتهِ ضنًّا بآدابي ان تبتذَل في عيون القرآء وصيانةً لقلمي من التلطخ باوضار البذآءة ومتى قُيّض لي من يعرف قيمة المباحث العلمية ويلتزم دائرة الادب والنزاهة لم اتوقف عن بسط ما عندي من البينـات على تأييد ما ذهبت اليهِ والسلام

***

بعد كتابة ما تقدم وقفت على ردّ لحضرة الاب الفـاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م) لمحت من خلالهِ حنكةً في العلم وتأدباً في القول فوددت لو ان الاخير في الردّ كان الاول في المناظرة كما هو اول في الادب والفضل . واني وان كنت قد اوصدت باب المناظرة في وجه من لا يفقه معناها فاني افتحهُ بيد الشكر لطارقٍ شعارهُ الادب وضالتهُ الحقيقة وموعدنا في ذلك الجزء الآتي ان شآء الله